محمد علي طه غير ناضج . ولم يختمر في ذهنه . فقد انتهى في بعض القصص الى استعمال الرمز الجبري الذي تعادل فيه الكلمة مدلولا واقعيا . وعندما نقرأ القصة نحتاج اولا الى فهم خاص بالدلالة الرمزية لكل كلمة . فيجب ان نعرف مثلا ان كلمة الشمعة يقصد بها المقاومة . والريح يقصد بها الاعداء . وعلى ضوء ذلك نقرأ قصة « الشمعة والريح » . لكن القصة تظل — حتى لو اخذت في ضوء هذا الفهم المتعسف لدلالات الالفاظ — قصة غير ناضجة لانه لم يلجأ الى استخدام المعادل الموضوعي ، بحيث يشكل من مجموعة المواقف حبكة قصصية توحي في المدى البعيد بحبكة اخرى . وهذا المأخذ — للاسف — ينسحب على عدد غير قليل من قصص المجموعة .

سمة اخرى تلفت الانظار في قصص محمد علي طه وهي اعتماده الكبير على عنصر التشخيص . فهو شأنه في ذلك شأن الكتاب الكلاسيكيين يحرص على الشخوص من حيث الرسم الخارجي للملامح والقسمات ومن حيث التحليل النفسي الداخلي ، ووضع الشخصية في بؤرة الحدث الذي ينوي تصويره ، تمهيدا لطرح الموضوع الواقعي بشكل عميق وجذاب . وهذه سمة تتجلى لا في قصص محمد علي طه وحدها بل تكاد تكون هي العلامة الفارقة في الادب القصصي ذى الاتجاه الفلسطيني المتميز .

ولعلنا نذكر تماما ان شخصية المختار حسن عبد القادر في قصته الاولى اللجنة هي شخصية مرسومة بدقة ووعي الى حد بلغت فيه مستوى النموذج الكلاسيكي بكل ما لديه من قسمات وملامح . وذلك أيضا ينسحب على شخصية بن ابي النماج وسامي عيد وبقية الشخوص . واذا كان لا بد من ذكر بعض الملامح العامة للشخصية عنده فاننا نستطيع التنويه بالحقائق التالية :

١ — الاتجاه بالشخصية نحو النمطية ، فهو هنا يحرص على سبك النموذج القصصي في قالب واقعي للغاية .

٢ — اسباغ طابع الظرافة عليها ، فاشخاصه يجمعون الى جانب صفتهم الرمزية والطبقية طابع الظرافة المحببة التي تجعلنا نسخر من الشخصية او نحنو عليها فنتذكرها بشكل دائم .

٣ — اعطاء الشخصية حرية الحركة في الزمان والمكان . فلا يلجأ محمد علي طه كثيرا للحظة المكثفة التي تحفر رأسيا في مجال التحليل النفسي بل تتيح لقلمه الرشيق ان يغوص في النواحي الانفية للشخصية ، وان يجعل اللحظة القصصية مفتاحا لعالم واسع من اللحظات . فالمختار حسن عبد القادر يتحول من مجرد شخص يلعب دورا هزيلا في انتخابات اللجنة الى شخصية نمطية لها تاريخ عريق ، وماض حافل بالاحداث . وكذلك نجد الشيء ذاته بالنسبة لشخصية الشيخ مسعود الذي لا يصلح الا للرئاسة ولا تصلح الا له . وهكذا ...

٤ — التركيز على التمايز الفلسطيني للشخصية فهي فضلا عن انتمائها للقرية الفلسطينية ذات الطابع الخاص تختصر المسافات بين الانسان الفلسطيني النموذج والفلسطيني العادي ومن اجل هذه الغاية فان الكاتب يوظف مهارته التقنية في الكشف عن الطبائع الخاصة ، مستخدما اللغة القريبة من اللهجة الفلسطينية والمثل الشعبي .

واذا تخلص القارىء من استعراض النماذج الانسانية ، والاشكال الخارجية للقصة كما يفهمها ويمارسها محمد علي طه ، واتضح لديه ما فيها من تكريس لملامح الخط الفلسطيني في القصة توجه الى تقري السطح القصصي بكل ما فيه من منبهات شعورية ولا شعورية لحاسة اللمس . فالغشاء الذي يغلف الاقاصيص جميعها هو غشاء فلسطيني مئة بالمئة . وهذا الغشاء يتكون في واقع الامر من عشرات العناصر التي تمتزج وتتمثل في بعضها بشكل يميزها عن التمازج المعروف بين العناصر الاربعة كما جاء في كتب التاريخ والاساطير .

ولئن كان من الجائز ان نعد كل الامور التي تحدثنا عنها في السابق هي من لحمة هذا الغشاء وسداه فاننا لا نزيد على ان نضيف امورا اخرى :

١ — الدلالات الفلسطينية لغويا . فالكاتب رغم استخدامه للفصحى فانه لا ينأى بها عن الاستيعاب المكثف لمحتوى النطق الفلسطيني الشعبي الدارج . واحيانا نقرأ الجملة مشكولة شكلا تاما وكأنها تركيب عربي فصيح يلائم كل كاتب من اي قطر عربي كان . ولكننا حين نسقط الحركات فاننا نقرأها باللهجة الفلسطينية ، سمتنا وسمة شعبنا المميزة،